

الأمثال في القرآن الكريم

(271) نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير). وبما أن مستمع السر كمفشيهِ عام، يعود سبحانه يندد بهما ويأمرهما بالتوبة، لاجل ما كسبت قلوبهما من الآثام، وإنه لو لم تكفَّسًا عن إيذاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاعلما أن يتولَّى حفظه ونصرته، وأمين الوحي معين له وناصر يحفظه، وصالح المومنين وخيارهم يودونه، وبعدهم ملائكة الله من أعوانه. كما يقول سبحانه: (ان تتوبا فقد صغت قلوبكما) أي مالت إلى الإثم، وإن تظاهرا عليه أي تعاونا على إيذاء النبي، فإن الله موله وجبرئيل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك طهير. هاتان الآيتان توقفنا على مكانة الزوجتين من القيام بوظائف الزوجية، حيث إن حفظ الأمانة من واجب الزوجة حيال زوجها، كما أن الآية الثانية تعرب عن مكانتهما عند الله سبحانه حيث تجعلهما على مفترق الطرق: إمسا التوبة لاجل الإثم، وإمسا التماسي في غيِّهما وإحباط كل ما تهدفان إليه، لأن له أعوانا مثل ربه والملائكة وصالح المومنين. وبما أن السورة تكفَّلت ببيان تلك القصة ناسب أن يمثل سبحانه حالهما بزوجتين لرسولين أذاعتا سرهما وخانتاهما. إذ لم تكن خيانتهم خيانة فجور لما ورد: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهم في الدين. قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس: إنَّه مجنون، وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجابرة من قوم نوح، كما أن امرأة لوط دلَّت على أضيافه. وعلى كل حال فقد شاركت هذه الزوجات الأربع في إذاعة أسرار أزواجهنَّ، وبذلك صرن نموذجا بارزا للخيانة. وقد كنَّ يتصورنَّ أن صلتهم بالرسول تحول دون عذاب الله، ولم يقفن